الإباحيّة: قراءة أدبيّة

تنتشر الأفلام الإباحيّة بشكل ملفت وتؤثّر على نظرتنا للحياة الجنسيّة. لذا من الضروري التحلّي بالتمييز الأدبي من أجل أن يكون لديتا القدرة على معرفة قيمة جسدنا وقيمة الآخر من حولنا.

نحن نعلم أن الأفلام الإباحيّة وُجدت لا لتُعلّم بل لتباع. فهي مبنيّة على الكذب. لذا من الصعب أن نفهم الجنس من خلالها. فالأفلام الإباحية تتكلم عن المرأة وكأنّها حيوان وعن الرّجل وكأنّه غريزي. إنّها ترى في الجنس لعبة. الرجل الذي يقبل الدخول في هذه اللّعبة يسعى لإثبات رجوليته. فكل مرة يمارس الجنس مع إمرأة يعتقد أنّه يزيد ميداليّة على انجازاته. النساء هنّ بضاعة. لكلّ شخص الحق بالحصول عليها إذا خضع لقانون اللّعبة. من هنا، كانت الأفلام موجّهة في البداية إلى الرّجال لاعتقاد المنتجين أنّ مثل هذه الأفلام لا تهمّ النساء. فتحوّلن إلى بضاعة تشترى وتباع. أمّا اليوم فتساوى الجميع لأنّنا اكتشفنا أنّ هذه الأفلام تهمّ أيضاً النساء اللّواتي يخصّصن الوقت لمشاهدتها لوحدهنّ أو مع شركائهنّ.

نلاحظ أنّ قيمة المرأة مربوط بمدى جمال جسدها وقدرتها على الجذب. فتهتمّ الأفلام بجسد المرأة وليس بما في داخلها. فتحاول أحياناً إبراز المرأة بمظهر مراهقة لتشجيع العلاقات الجنسيّة مع القصّار. كما تشجع على العلاقات الغير شرعية والمحظّرة لتجعل الجنس أكثر إثارة. أحياناً تستعمل نساء تمّ استغلالهنّ جنسياً أو عندهنّ أعراضاً نفسيّة أو تعرّضنا لنكسات صحيّة أو عاطفيّة.

الإباحيّة هي جنس بدائي، عنيف، دون أيّة علاقة شخصيّة ورومنسيّة. فهي تُفرغ الجنس من غناه، من الشراكة والفرح. الإباحيّة تقتل الحب، الحميمية، العفويّة والإتّحاد العميق وتضع في الشخص فكرة الإثارة للإثارة فيغوص في تخيلات لا نهاية لها فتصبح مثل الفيروس يمنعه من التفكير ومن عيش عاطفته بصدق وبساطة. الإباحيّة تضع العضو التناسلي بحسب مقاييس معيّنة تشغل بال الأشخاص فلا تعود العلاقة بحدّ ذاتها من أجل علاقة حب بل لعرض القدرات الجنسية فيصبح الشخص مهووساً أو يكره العلاقة خوفاً من أن لا يكون على المستوى المطلوب. الإباحيّة تدفع إلى الإغتصاب، العلاقة مع القصّار وسفاح القربى. فهي تأخذ الوسيلة على أنها الغاية فتضلّل الحب عن نبعه وغايته كما وتخرج العمل الجنسي من حميميته وتعرضه إرادياً للآخر.

العلاقة الجسديّة لا تصبح فعل حب إلاّ أذا تعلّم الشخص أنّ يحب قبل أن يلتزم بعلاقة جنسيّة. وهذا يتمّ تدريجياً عند المراهقة حيث يتعلّم المراهق أن يبني علاقات خالية من المصالح. وإلاّ فسوف يقوم بعلاقات بدون إلتزام وبدون مشروع. في هذه المرحلة يريد المراهق أن يبرز ذاته وأن يبحث عن هويّة جنسيّة وعاطفيّة. فالعلاقة الجسديّة تعطيه نوعاً من الإستقلاليّة فيعتقد أنّه يحقّق ذاته. ولكن بما أنّه يريد أن يبرز ذاته فهو لا يريد أن يتجاوب دائماً مع تطلّعات الآخر. فيبقى السؤال : هل يمكن أن تنشأ علاقات ثابتة إنطلاقاً من علاقات مبنيّة أصلاً على ظروف لا تؤدّي إلاّ إلى الفشل ؟ هناك مربّون يشجعون على الحقّ باللّذة بما أنّ المراهق هو في مرحلة التنشئة ولكن ضمن أصول لا تؤذي الأشخاص. ولكن للأسف نوقع هؤلاء الأشخاص بعزلة قاتلة جنسياً وعاطفياً لأنّهم لا يجدون كلّ ما يطلبون. وأحياناً نهمّش أو نسفّه اللّذة لدرجة أنّنا لا نعود نقبل أنّ هناك حبّ وعلاقة وحوار. باعتقادي الوقت مهمّ وهذا مفقود في مثل هذه العلاقات. كذلك الكلمة والتقدير مهمّين وهذا مفقود أيضاً. من الضروري، وبعيداً عن الإدانة، أن يقرأ المربّون مع المراهق الإختبارات وكلّ معالمها الإيجابيّة والسلبيّة ويساعدوه على البحث عن الحب الحقيقي. كلّ المجتمع معني مع الأهل لمساعدة المراهق على عدم التقليل من أهميّة الآخر والعلاقة الثابتة.

نصل أحياناً إلى عيش الإباحيّة لأنّنا لم نتعلّم، منذ الصغر، أنّ الرغبات الجنسيّة لا تعني الحب الذي يحتاج إلى نضج. نجد الشخص يؤكّد سلطته على الآخر وحاجاته الخالية من الحب ويعيش، في الوقت عينه، شعوراً بالذنب وبالإنزعاج. لذا علينا تشجيع أولادنا على تعميق صداقاتهم والعيش ضمن جماعة يختبرون فيها الصدق والإلتزام واحترام الآخر والعطاء الغير مشروط. وإلا فإنّ أولادنا سينغمسون بالأنانيّة وحبّ الإثارة العابرة ويضيعون عن الأنا الحقيقيّة فتغيب عنهم هويّتهم الحقيقيّة.

نعيش اليوم أسطورة الجنس كوسيلة تسلية بحيث يجب إستعمال كلّ الوسائل المتاحة لتسهيل هذه العمليّة ولجذب أكبر عدد ممكن من الأشخاص. فنلجأ إلى نصائح الإختصاصيين والتسهيلات اللّوجستيّة للترغيب وللتشجيع. فنوهم الأشخاص أنّ الفعل الجنسي مجرّد عمل جسدي لا تأثير له على كافّة الجوانب التي تشكّل الكائن البشري.

كثير من الأشخاص يعتقدون بأنّ الإختبارات الجنسيّة المتكرّرة والمبكّرة تساعدهم على اكتساب الخبرة واللّذة القويّة والحب. للأسف هذا ما نحاول أن نقوله لشبابنا ولشاباتنا. ولكنّنا نجهل أو نتجاهل بأنّ هذه الصور والمشاهد تبعد الشخص عن الحب الحقيقي والفريد. فالأشخاص الغير قادرين على أن يحبّوا ويلتزموا يعوّضون عن هذا النقص العاطفي بالحاجة إلى التسلّط أو تجريح الآخر. النقص في الخبرة الجنسيّة هو فرصة لاكتشاف هذا العالم الواسع والجميل برويّة وباحترام وبصدق وبخطوات ثابتة. فالإلتزام الجدّي يفتح مجالاً لاختبارات جنسيّة عميقة ومثمرة. من هنا لا يمكننا القول بأنّ الجنس عند الإنسان هو حيواني. فالحيوان متأثر بالفصول ويمتنع عن التزواج خارج الأوقات المحدّدة. بينما الإنسان عنده ميول وطاقة يوجّهها بحسب مفاهيمه والنماذج الفكريّة التي يتأثر بها والمثل التي يتلقاها. أعتقد هنا بأنّ الحشمة ضروريّة في العلاقة الجسديّة، فهي مرتبطة بمعنى هويّتنا ويجب الحفاظ عليها وحمايتها. إنّها الضامنة للشخص ولفرادته.

في الختام، إلتزامي مع الشخص ممكن إذا كان هناك إرادة بعدم جعله مجرّد شيء أمتلكه بل قوّة لقاء. من هنا ضرورة أن لا تكون لغة التعاطي فقط جسديّة بل أيضاً كلاميّة. كلّ شخص يقول ما يختبر مع الآخر وما كان عليه قبل وبعد اللّقاء به. بالحبّ تتحقق الرغبة ونكتشف أنّ هناك آخر أيضاً، هذه هي مفارقة الحبّ. إنّه يجعل من العلاقة الجنسية وصالاً لا احتكاكاً وتصبح العلاقة الجنسية لغة تخاطب. لذا فإنّ درجة الحبّ الحقيقي وحدها تمكّن من تقييم العمل الجنسي، فالحبّ بدون الغريزة طوباوي، والغريزة بدون الحبّ إباحيّة (Jean la Croix). الحب هو فعل إرادي واستعداد للعطاء وليس إستهلاك آني ينتهي مع انتهاء الحاجة ليعود ويظهر مع ظهور الحاجة مرّة ثانية. إنّه أكبر بكثير من الحاجة، لأنّ الحاجة تبغي الأخذ بينما الحبّ يبغي العطاء. وفي الحبّ الأخذ والعطاء لا ينفصلان.

مجلّة العائلة نيسان ٢٠١٧